الفصل السادس

الواو ودلالة الفعل والاسم

أولا : دلالة الفعل (واو القسم ـ واو الندبة).

ثانيا : دلالة الاسم (واو ضمير جمع الذكور).

obeikandl.com

obeikandl.com

الواو ودلالة الفعل والاسم

المقصود بدلالة الفعل هنا ما نلحظه في (واو القسم) من أدائها لمعنى الفعل (أحلف) وحرف الباء، وما نلحظه في (واو الندبة) من أدائها لمعنى الفعل (أدعو)، أو (أندب).

أما دلالة الاسم فالمقصود بها الواو في ضمير جمع الذكور.

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

أولًا : دلالة الفعل

أ ـ واو القسم :

1 ـ واو القسم بين المعنى الوظيفي والدلالة :

ركز أصحاب المصنفات في حروف المعاني على المعنى الوظيفي للواو إلى جانب معنى القسم ، وعدوا واو القسم أداة تؤدي دورا وظيفيا ، وهذا جعلهم في كثير من الأحيان يذكرونها مرتبطة بعملها النحوي ، وهو الجر هي (واو رب).

فالزجاجي لم يذكر القسم ضمن معاني الواو[1] مطلقا ، ولا معاني الباء[1] في كتابه **معاني الحروف** ، ولكنه ذكر في كتابه **الجمل** أن الواو حرف قسم[2].

وذكر الرماني أن الواو تكون قسما ، نحو قولك : والله لأخرجن[3]. ونظر المرادي إلى عمل الحرف كأداة فقال : : « فأما واو القسم فحرف يجر الظاهر دون المضمر »[4].

ومثله في ذلك ابن هشام [5]، والسيرافي في المناظرة التي وقعت بينه وبين متّى بن يونس في حرف الواو ، قال : « للواو وجوه ومواقع ، منها معنى العطف في قولك : أكرمت زيدا وعمرا ، ومنها القسم في قولك : والله لقد كان كذا وكذا »[6].

---

(1) انظر معاني الحروف للزجاجي 36، 39.

(2) نفسه 49، 86، 87.

(3) الجمل في النحو للزجاجي 60 ـ 70.

(4) معاني الحروف للرماني 61.

(5) الجنى الداني 157.

(6) مغني اللبيب 2/ 361، وانظر الإغراب في قواعد الإعراب لابن هشام، ص 122، ط 1، مطبعة قسطنطينية 1299هـ.

(7) الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان 118/1.

وذكر الهروي في **الأزهية** أنها تكون للقسم[1].

أما سيبويه فقال : وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجرّ، وأكثرها الواو، وذلك قولك : والله لأفعلنّ، وقال الخليل : «إنّما تجيء بهذه الحروف ؛ لأنّك تضيف حلفك إلى المحلوف به، كما تضيف مررت به بالباء»[2].

ولم يذكر سيبويه معنى القسم في الواو، أو بمعنى آخر لم يقل واو القسم، فهو لم يناقش دلالة الحرف، وإنما ناقش وظيفته[3]. أي : المعنى الوظيفي فيه، وهو الإضافة التي قال بها في واو القسم أيضا الزمخشري[4]، وأبو علي[5]، وابن السراج[6].

2 ـ دلالة الفعل في واو القسم :

رأينا ـ فيما سبق ـ أن العلماء في مناقشتهم لواو القسم ينظرون إلى عملها النحوي كأداة جر، أو ينظرون إلى معناها الوظيفي كحرف إضافة أو توصيل أو ضم.

ولها معان أخرى كالتوكيد والتعظيم والتحقيق تُلمح من تأمل التراكيب التي بها هذه الواو.

وواو القسم تختلف عن واو المشاركة ؛ لأنها قد يبتدأ بها الكلام[7] بعكس واو المشاركة.

---

(1) الأزهية للهروي 231.

(2) الكتاب لسيبويه 496/3.

(3) البحث النحوي عند الأصوليين، د. مصطفى جمال الدين حمدان 201.

(4) انظر : الأنموذج للزمخشري 112.

(5) الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي 1/ 255، 263.

(6) أصول النحو لابن السراج 244/1.

(7) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم 46/1.

ورأى العلماء أن واو القسم بدل من الباء[1]، أو هي بمنزلتها[2]، وأن الباء أصل حروف القسم[3].

وأرجع أكثرهم سبب إبدال الواو من الباء في القسم إلى المشابهة في المخرج والمعنى، فهما من حروف الشفة[4]، والباء معناها الإلصاق، والشيء إذا لاصق الشيء جاء معه[5].

وزاد ابن يعيش سببا آخر لهذا الإبدال، وهو التوسع في اللغة قال: «الباء أصل حروف القسم، ثم أبدلوا الواو من الباء توسعا في اللغة؛ ولأن الواو أخف من الباء، وحركتها أخف من حركة الباء، وإنما خصوا الواو بذلك لأمرين:

أحدهما: أنها من مخرج الشفة (أي: مثل الباء).

والآخر: من جهة المعنى، وذلك أن الباء معناها الإلصاق، والواو معناها الاجتماع، والشيء إذا لاصق الشيء جاء معه»[6].

3 ـ أدلة على معنى الفعل في واو القسم:

أدلة من آراء النحاة:

بتحليل أقوال العلماء حول الفرق بين واو القسم والباء نلمح دلالة الفعل في الواو.

---

(1) انظر: المفصل للزمخشري 256، شرح المفصل 8/ 34، الحروف العاملة في القرآن 450.

(2) الكتاب 393/1.

(3) نفسه 496/3.

(4) انظر: المقتضب للمبرد 2/ 317، ولسان العرب 3/ 12، شرح الكافية، رضي الدين 2/ 334، الحروف العاملة 450.

(5) شرح المفصل 34/8.

(6) نفسه 34/8.

قال الزمخشري : « واو القسم مبدلة من الباء الإلصاقية في : أقسمت بالله ، وأبدلت منها عند حذف الفعل »[1].

وقال ابن القيم : « القسم لما كان يكثر في الكلام اختصر فصار فعل القسم يحذف ويكتفى بالباء ، ثم عوض عن الباء والواو في الأسماء الظاهرة والتاء في أسماء الله كقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾[2]. وقد نقل بعضهم : ترب الكعبة »[3].

وقد روا الفعل (فعل القسم) مع الواو محذوفا ، فلا تتعلق واو القسم إلا بمحذوف[4]، وذكر بعضهم أنه لا يجوز ذكر فعل القسم مع الواو والتاء[5].

وقال الزركشي : « أكثر الأقسام المحذوفة الفعل في القرآن لا تكون إلا بالواو ، فإذا ذكرت الباء أتي بالفعل »[6].

ورأى السيوطي أن الباء لما كانت أصل حروف القسم خصت بجواز ذكر الفعل معها ، نحو : أقسم بالله . وأن حذف الفعل شرط معها ، ولكنه جعل السبب كثرة استعمالها في القسم[7]، فلم يذكر دلالة الواو هنا على الفعل.

وزعم بعضهم أنه يجوز إظهار الفعل مع الواو ، فيقال : حلفت والله لأقومن . وأوّلَه أبو حيان على أن (حلفت) كلام تام . ثم أتى بالقسم بعده ، ولا تجعل (والله) متعلقة بحلفت[8].

---

(1) المفصل للزمخشري 156.

(2) سورة الأنبياء 57.

(3) انظر : التبيان في أقسام القرآن لابن القيم الجوزية ، ص 3، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت .

(4) مغني اللبيب 261/2.

(5) شرح ابن عقيل 186.

(6) البرهان 43/3.

(7) انظر الأشباه والنظائر في النحو 160/2.

(8) انظر : همع الهوامع 39/2.

ولم يجوزوا ـ أيضا ـ إظهار الفعل مع التاء واللام (بلا خلاف) بل يجب إضماره[1]؛ لأنهما بدل من الواو.

ومما يدل أيضا على دلالة الفعل في الواو «أنها لا تستعمل في قسم السؤال، فلا يقال: والله أخبرني. كما يقال: بالله أخبرني»[2]؛ وذلك لما في قسم السؤال ـ أو بمعنى آخر لما في الاستفهام أصلا ـ من معنى الفعل.

وقد فسر ابن هشام معنى (بالله هل قام زيد) على أنه: أسألك بالله مستحلفا[3]، فظهر الفعل (أسألك) في التفسير مما يدل على أن القسم السؤالي أو الاستعطافي والذي خصت به الواو ـ لا تستعمل فيه الواو غالبا، وليست بدلا من الفعل، وإنما هي تجيء معه، تقول: أحلف بالله. أو تجيء مع معناه، كما في: أسألك بالله. ولكن الواو تؤدي معنى الفعل والباء معا.

وذكروا أيضا أن الواو لا تدخل على المضمر، بخلاف الباء، ولهذا الفارق بين الحرفين عند علماء العربية تعليل؛ فقد رأى الزمخشري أن الباء لأصالتها تدخل على المضمر والمظهر، فتقول: الله ربك لأفعلن كذا. والواو لا تدخل إلا على المظهر لنقصانها عن الباء[4].

ورأى ابن يعيش أنه لما كانت الواو بدلا من الباء، والبدل ينحط درجة عن الأصل، فلذلك لا تدخل إلا على مظهر، ولا تدخل على المضمر[5]، ورأى رضي الدين أن عدم دخول الواو على المضمر شرط لأدائها معنى القسم، وأنه لا يقال: (وك) كما يقال (بك) وجعل ذلك لكونها فرع الباء وبدلا منها[6].

---

(1) نفسه 39/2.
(2) شرح الكافية، رضي الدين 334/2.
(3) انظر: مغني اللبيب 106/2.
(4) المفصل للزمخشري 156.
(5) شرح المفصل 34/8.
(6) شرح الكافية، رضي الدين 234/2.

ورأى النحاة في تاء القسم أيضا أنها لا تختص إلا باسم الله تعالى ؛ لأنها تقل درجة عن الواو ، فهي مبدلة منها كما تبدل في تراث وتخمة[1].

أدلة من القرآن الكريم :

أورد الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة في معجمه عشرين آية بها واو القسم[2]، ولا ندري لماذا لم يذكر كل الآيات؟ أو يشير إليها ، كما هو شأنه في كل معاني الحروف التي ذكرها في دراساته ؛ إذا إنه باستقراء القرآن الكريم أمكن تحديد اثنتي عشرة آية أخر بها واو القسم ، نذكر هاهنا غير مدعين الحصر ، ولكن لكي نطبق عليها إلى جانب ما أورده الشيخ عضيمة ، ولمحاولة بحث الفرق بين باء الإلصاق التي للقسم ، وواو القسم في الاستعمال القرآني لهما.

وهذه الآيات : قوله تعالى[3]: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾[4]. وقوله تعالى[5]: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[6]. وقوله تعالى[7]: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[8]. وقوله تعالى[9]: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ﴾[10].

(1) انظر : مجالس العلماء للزجاجي 121، المفصل للزمخشري 156، شرح الكافية 334/2.
(2) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم 505/4 ـ 509.
(3) انظر : الإتقان 47/1.
(4) سورة مريم 68.
(5) التبيان لابن القيم 7.
(6) سورة يونس 53.
(7) الإتقان 49/1.
(8) سورة الحجر 92.
(9) التبيان لابن القيم 9.
(10) سورة سبأ 3.

obeikandl.com

وقوله تعالى [1]: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [2]. وقوله تعالى [3]: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [4]. وقوله تعالى [5]: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [6]. وقوله تعالى [7]: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ [8]. وقوله تعالى [9]: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [10]. وقوله تعالى [11]: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ﴾ [12]. وقوله تعالى [13]: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [14]. وقراءة الجر في (رسوله) [15] من وقوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [16]. بتأمل آيات القسم السابقة، وما أورده الشيخ عضيمة نلاحظ.

أن آيات القسم بالواو في القرآن الكريم لم يذكر معها فعل القسم، وبتأمل آيات القسم بالباء التي ذكرها الشيخ عضيمة [17]، والتي بلغت ثمان وعشرين آية

(1) التبيان لابن القيم 427.
(2) سورة الصاف 1.
(3) التبيان لابن القيم 423، الإتقان 49/1.
(4) سورة الذاريات 23.
(5) التبيان لابن القيم 242.
(6) سورة النجم 1.
(7) التبيان لابن القيم 7.
(8) سورة التغابن 7.
(9) التبيان لابن القيم 202.
(10) القلم 1، 2.
(11) التبيان لابن القيم 110، 163.
(12) سورة المدثر 32.
(13) الإتقان 50/1.
(14) سورة التين 1.
(15) انظر: تفسير القرطبي 4/ 291، ط الشعب، منثور الفوائد للأنباري 64.
(16) سورة التوبة 3
(17) دراسات لأسلوب القرآن الكريم 53/2 - 57.

obeikandl.com

نجد أن فعل القسم ذكر مع الباء في أربعة عشرة آية ، وتسع آيات لم يذكر معها فعل القسم ؛ منها أربع آيات سبقت بفعل يمكن أن يسد مسد فعل القسم [1]، كالفعل (قال) في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾[2].

أما الآيات الخمس الباقية ، فمنها آيتان محذوف منهما حرف القسم [3]. فلا يتعين للباء أو للواو . والثلاث آيات الأخرى : القسم أحد التوجيهات الإعرابية لها ، وليست متعينة تماما للقسم[4].

مما سبق يمكننا أن نقول : إن باء القسم تحتاج إلى الفعل إذا لم يكن قبلها ما فيه معنى الفعل ، كالذي في القسم السؤالي.

أما الواو فهي بدل من الفعل والباء معا ، فهي لا تحتاج إلى الفعل معها ، ويؤكد ذلك ما نلحظه من استقراء مادة الفعل (قسم) في القرآن الكريم ؛ إذ نجد أنه في دلالته على القسم لم يأت إلا مع الباء ، أو ما حذف المقسم عليه [5]. وكذلك مادة (حلف) في القرآن الكريم[6].

4 ـ عمل واو القسم :

ذكر كثير من العلماء أن حرف الواو حرف مهمل لا عمل له إلا إذا كان حرف قسم[7].

---

(1) نفسه 53/2 ـ 57 والآيات هي : 26: 44، 28: 17، 38: 15، 29.

(2) سورة الشعراء 44.

(3) الآيتان 38: 84، 73: 9.

(4) انظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم 53/2 ـ 55.

(5) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي ، مادة (قسم) 545، مطبعة الشعب ، القاهرة 1378 هـ.

(6) نفسه ، مادة (حلف) 215.

(7) الحروف العاملة في القرآن الكريم 443.

أثر المعنى (معنى الفعل) على واو القسم :

عدّ الخليل واو القسم من حروف الخفض[1]، وتبعه الزجاجي ، ورأى أنها تعمل الخفض ؛ لأنها بدل من الباء ، والباء من حروف الخفض[2]، وذكر سيبويه أنها من أدوات الجر ، وذكر رأي الخليل في أنها تضيف الحلف إلى المحلوف به[3]، وهي عنده بمنزلة الباء ، وعندما يذكر المبرد جواز حذف واو القسم يُفهم من كلامه أن الواو تعمل الجر[4]، ولم يذكر تبريرا لهذا العمل.

وابن هشام لم يذكر ـ صراحة ـ أنها عاملة ، وإن جعل بعدها مجرورا ، فهو يقول عنها : هي واو رب واوان ينجر ما بعدهما[5].

وعدها السيوطي من الحروف الجارة[6].

أما جني فذكر تبريرا لعملها فقال : « لأنها ضارعت الباء في القسم لفظا ومعنى ، أما اللفظ فلأن الباء شفهية ، والواو أيضا كذلك ، وأما المعنى فلأن الباء للإلصاق والواو للاجتماع ، والشيء إذا لاصق الشيء جاء معه ، وليست كذلك واو العطف ؛ لأنها لا تضارع العامل الذي دلت عليه ، وقامت مقامه لا لفظا ولا معنى ، ألا ترى أنك إذا قلت : ضربت زيدا وضربت بكرا . فالواو لا تضارع ضرب لا لفظا ولا معنى ، ألا ترى أن ضرب ثلاثة أحرف ، والواو حرف ، وهذه حرف ، وذاك فعل »[7].

---

(1) الجمل للخليل 278.

(2) الجمل للزجاجي 60، 70.

(3) الكتاب 496/3 وما بعدها.

(4) المقتضب للمبرد 335/2.

(5) مغني اللبيب 361/2

(6) همع الهوامع 12/ 389، الإتقان 255/2.

(7) سر صناعة الإعراب لابن جني 240/2 (و) مخطوط.

obeikandi.com

وقد تبعه المرادي في ذلك الرأي[1].

أما الرافضون لعمل واو القسم فقد عللوا لذلك بأنها تشبه واو العطف لفظا، وعدوها حرف عطف، والمخفوض بها في القسم انخفض في العطف على محلوف به[2].

ورأى عبد القاهر أنه لا تعمل الجر؛ لأنهم لم يستعملوها في غير القسم حرف جر[3]، ولم يذكر الرماني عملا لواو القسم، وقال في بداية حديثه عن الواو: «الواو من الحروف لأنها تدخل على الاسم والفعل جميعا، ولا يختص بأحدهما، فاقتضى ذلك ألا تعمل شيئا، إلا أنها ليست بالعمل في الاسم أحق منها بالعمل في الفعل»[4].

وعندما ذكر واو القسم ضمن معاني الواو لم يذكر عمل الجر مطلقا[5]، على الرغم من أنه جعل تاء القسم عاملة، وعلل لذلك بأنها بدل من بدل، وذلك أن الأصل في باب القسم الباء؛ لأنها من حروف التعدية التي توصل الأفعال إلى الأسماء وتلصقها بها، ثم يبدلون منها الواو لقرب إحداهما من الأخرى في المخرج والمعنى[6]، ثم أبدلوا التاء من الواو[7].

وأرى أن عمل واو القسم لم يأتها مما سبق فقط، وإنما أيضا أتاها لما فيها من الفعل (أقسم) وإباء معا، وقد نسب رضي الدين الاستراباذي في **الكافية** إلى

(1) الجنى الداني للمرادي 124.
(2) الحروف العاملة في القرآن الكريم 449.
(3) معاني الحروف للرماني 59.
(4) نفسه 61.
(5) نفسه 41.
(6) نفسه 41.
(7) المقتصد في شرح الإيضاح 838/2.

obeikandi.com

جار الله أن الواو كأنها عوض عن حرف القسم وفعله معا، وذلك لأن كثرة ما استعمل في القسم لم يستعمل الفعل معه، فصار لما لم يجامع الفعل، كأنه عِوض عن الفعل كما أنه عوض عن الحرف[1].

عمل واو القسم محذوفة:

ذكر الأنباري مذهب الكوفيين في أنه يجوز الخفض في القسم بإضمار حرف الخفض من غير عوض، ومذهب البصريين في أنه لا يجوز ذلك إلا بعوض، كألف الاستفهام في قولك: آلله ما فعلت كذا. أو ها التنبيه، نحو: ها الله. وذكر احتجاج كل من الفريقين[2].

عملها بدون تعويض:

رأى بعضهم أن واو القسم تعمل بدون تعويض؛ الجر، أو النصب، أما الجر فقد قال به الكوفيون ـ كما سبق ـ وقال الخليل: وبعضهم يضمرون حرف القسم، ويجرون به فيقولون: الله لأزورك. كما يضمرون (رب) ويجرون به[3].

ورأى الأخفش ـ أيضا ـ أنه قد تسقط واو القسم قبل لفظ الجلالة لكثرة استعماله[4]، وعد ذلك ابن جني شذوذا لا يجوز القياس عليه[5]. وذكر في المحتسب أن رُوي عن الشعبي أنه قرأ (شهادةَ الله)[6] ـ مكسور وتنون الشهادة ـ قال أبو الفتح (الله) مكسورة بالجر، فحكاها سيبويه أن منهم من يحذف حرف

(1) شرح الكافية، رضي الدين 337/2.
(2) الإنصاف 396/1.
(3) الجمل في النحو للخليل 108.
(4) معاني القرآن للأخفش 49/1.
(5) سر صناعة الإعراب لابن جني 149/1.
(6) سورة المائدة 106.

القسم ، ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول : الله لقد كان كذا وكذا . قال : وذلك لكثرة الاستعمال[1].

وربما نظر بعض العلماء نظرة عامة إلى واو القسم فجعلوها كأي حرف عادي دون أن يلزموا ، أنفسهم بالفروق الدقيقة بين دلالة الباء كحرف متعين للجر ، ودلالة الواو كحرف له دلالته المستقلة ؛ لذا قالوا بالنصب فيما بعده عند حذفه :

فالخليل جعل من أنواع النصب : النصب بالقسم عند سقوط الواو والباء من أول القسم[2].

وذكر شواهد على ذلك : من قرأ : ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾[3]. بالنصب أراد : وتنزيل العزيز الرحيم . على القسم ، فلما نزع الواو منه نصب ، ومن قرأ : ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾[4]. أراد (وعالمِ الغيب)[5].

وقال سيبويه : « واعلم أنك إذا حذفت من المحلوف به حرف الجرّ نصبته ، كما تنصب حقّا إذا قلت : إنك ذاهب حقّا . فالمحلوف به مؤكَّد به الحديث ، كما تؤكّده بالحقّ ، ويجرُّ بحروف الإضافة كما يجر حقٌّ إذا قلت : إنك ذاهب بحقٍّ ، وذلك قولك : الله لأفعلنَّ »[6].

لقد ربط سيبويه بين معنى القسم واتوكيد ـ كأساليب ـ فجعل أسلوب القسم يشبه أسلوب التوكيد الذي يكون منصوبا.

---

(1) المحتسب لابن جني 221/1.
(2) الجمل في النحو للخليل 107.
(3) سورة يس 5.
(4) سورة سبأ 3.
(5) الجمل في النحو للخليل 9، 7.
(6) الكتاب 497/3.

obeikandl.com

أما المبرد فقال بأنه في حالة حذف حرف القسم، فإن ما قبله من فعل يصل إلى المقسم به، فينصبه قال: «تقول: الله لأفعلن؛ لأنك أردت: أحلف الله لأفعلن، وكذلك كل خافض في موضع نصب إذا حذفته وصل الفعل فيما بعده»[1].

ولم يحدد الحرف المحذوف، أهو الباء أم الواو؟ فهو في موضع آخر من كتابه يقول: «واعلم أن من العرب من يقول: الله لأفعلن. يريد الواو فيحذفها، وليس هذا بجيد في القياس ولا معروف في اللغة، ولا جائز عند كثير من النحويين، وإنما ذكرناه لأنه شيء قد قيل، وليس بجائز عندي؛ لأن حرف الجر لا يحذف ويعمل إلا بعوض»[2].

فكأنه رأى أن حرف الجر المحذوف لا يعمل، وإنما الذي يمكن أن يعمل هو الفعل الذي قبل حرف الجر، خاصة إذا كان المحذوف الباء.

عملها بحروف تعويض:

وهو أقرب إلى المنطق من العمل بدون تعويض، والبصريون لا يجوزون الخفض في القسم بإضمار حرف إلا بعوض، نحو ألف الاستفهام وها التنبيه[3].

وقد فرق سيبويه بين نوعين من الحروف التي تأتي بمنزلة واو القسم، فنوع لا تأتي معه واو القسم، مثل: مِن، مُن، ولا يدخلها في غير (ربي)[4].

ومثل ها التنبيه في قولك: إي والله ذا، ومثل: ألف (ال) أي: الألف التي مع لام التعريف.

---

(1) المقتضب للمبرد 32/2.

(2) نفسه 335/2.

(3) الإنصاف 393/1.

(4) الكتاب 499/3.

والنوع الثاني تأتي معه الواو ليست ببدل ، من ذلك : نعم الله لأفعلن ، وإي الله لأفعلن . إذ يمكن أن تقول : نعم والله لأفعلن ، وإي والله[1].

وفي النوع الأول يلاحظ أن ألف التعريف هي في الكلمة قبل القسم بها ، ولكن رضي الدين قال : « وكذا يعوض من الجار فيها : قطع همزة (الله) في الدرج ، كأنها حذفت ، ثم ردت عوضا عن الحرف »[2].

وهناك كلمات أخرى فيها معنى القسم مثل عَمر ، أيم ، أيمن ، لاها[3]، ورأى ابن جني فيها أنه لا يجوز القياس عليها[4].

قد يأتي الفعل بدلا من واو القسم مثل : يعلم الله لأفعلن . كما أن هناك أفعالا خاصة فيها معنى القسم[5].

وتابع المبرد سيبويه في جعل بعض الحروف عوضا عن واو القسم ، تحل محلها فيكون فيها ما يكون في أدوات القسم ، ولا يجمع بينها وبين ما هي عوض عنه ، فإن جاز الجمع بين شيئين فليس أحدهما عوضا عن الآخر ، ومن هذه الحروف ألف الاستفهام ، وألف (ال) التي للتعريف[6].

وذكر أيضا الأسماء التي يعمل بعضها في بعض ، وفيها معنى القسم[7].

كما احتفظ بعض العلماء بمعنى الاستفهام في ألف الاستفهام التي تجيء عوضا عن واو القسم[8].

---

(1) الكتاب 3/500.

(2) شرح الكافية ، رضي الدين 2/335.

(3) الكتاب 2/ 503، وانظر : شرح المفصل لابن يعيش 9/ 105، الأزهية 28.

(4) سر صناعة الإعراب 1/149.

(5) الكتاب 2/503.

(6) المقتضب 2/ 221، وما بعدها ، وانظر : المسائل البصريات 2/908.

(7) المقتضب 2/324.

(8) المقتضب 2/759.

وذكر رضي الدين أن لام الجر تأتي بمعنى الواو في القسم، وكذلك: مِن ومُن وأرجَعَ مِن ومُن إلى مِن الجارة[1]. وذكر غيره أنها مبدلة من واو القسم لقرب المخرج[2].

أما اللام فرأى أنها تأتي بمعنى واو القسم في التعجب، أي: في الأمر العظيم الذي يستحق أن يتعجب منه، فلا يقال: لله لقد قام زيد. بل يستعمل في الأمور العظام، نحو: لله لتبعثن[3].

5 ـ معاني واو القسم في القرآن الكريم:

المقسم عليه يجب أن يكون مما يحسن فيه القسم، كالأمور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها، أما الأمور الظاهرة المشهورة؛ كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض، فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها[4].

والمراد بالقسم: تحقيق المقسم عليه لتوكيده[5]. وهو وحده لا معنى له، ولو قلت: والله. وسكتَّ، أو: بالله. ووقفتَ، لم يكن لذلك معنى حتى تقسم على أمر من الأمور[6].

وإذا ما تأملنا العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه ـ بالواو خاصة ـ وجدنا تلك المعاني العميقة التي تنبثق عند التأمل الواعي لتلك العلاقة.

ففي قوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا

(1) شرح الكافية، رضي الدين 334/2.
(2) المفصل للزمخشري 156.
(3) شرح الكافية، رضي الدين 2/ 329. الفوائد الضيائية، شرح كافية ابن الحاجب 326/2.
(4) ابن السراج النحوي وتحقيق أصول النحو 345/1.
(5) التبيان لابن القيم 2.
(6) ابن السراج النحوي وتحقيق أصول النحو 345/1.

obeikandl.com

﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [1]. يقول ابن القيم : « هو قسم على النبوة والمعاد ، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته وحكمته ورحمته ، وهما الليل والنهار . فتأمل مطابقة هذا القسم ، وهو نور الضحى الذي يوافى بعد ظلام الليل للمقسم عليه ، وهو نور الوحي الذي وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمدا ربه . فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه.

وأيضا فإن فالق ظلمة الليل عن ضوء النهار هو الذي فلق ظلمة الجهل والشرك بنور الوحي والنبوة ، فهذان للحس وهذان للعقل ؟ »[2].

وزعمت الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن الذي اطمأنت إليه بعد طول تدبر وتأمل في السور المستهلة بهذه الواو هو : « أن الواو خرجت عن أصل معناها اللغوي في القسم للتعظيم إلى معنى بياني ، على نحو ما تخرج أساليب الأمر والنهي والاستفهام عن أصل معناها الذي وضعت له لملحظ بلاغي ، فالواو في هذا الأسلوب تلفت لفتا قويا إلى حسيات مدركة ليست مواضع غرابة ، أو جدال توطئة إيضاحية لبيان معنويات وغيبيات لا تدرك بالحس . فالقسم بالواو ـ غالبا ـ لون من ألوان البيان الفني للمعاني بالأشياء الحسية ، وما يلمح فيه من الإعظام إنما يقصد به إلى قوة اللفت ، واختيار المقسم به تراعى فيه الصفة التي تناسب الموقف »[3].

ونتفق مع الدكتورة عائشة عبد الرحمن على ما تفيده الواو من اللفت إلى معنوي يعقل من خلال القسم بحسي مدرك ، ولكن الواو لم تخرج عن معناها

(1) سورة الضحى 1 ـ 3.

(2) التبيان لابن القيم 72، وما بعدها ، الإتقان 51/4.

(3) التفسير البياني للقرآن الكريم د . عائشة عبد الرحمن 25/2 وما بعدها ، ط 3، دار المعارف ، مصر سنة 1968م.

في القسم للتعظيم، والقسم -في ظني- ليس معنى معنويا للواو، وإنما هو معنى تفيده الواو في تراكيب خاصة، الواو للقسم والتعظيم واللفت إلى المعنوي، وهي لو لم تكن قسما ما كانت تفيد كل تلك المعاني.

ومن الغريب أن البلاغيين نادرا ما بحثوا في واو القسم ومعانيها رغم ما فيها من معانٍ متعددة في بلاغة الكلام - حتى صاحب رسالة **الواو ومواقعها في النظم القرآني**، والذي اهتم بجوانب البلاغة لم يذكر واو القسم في رسالته.

فقد قصر حديثه - كالبلاغيين - على معاني الواو في الفصل والوصل تاركين ما في أقسام القرآن الكريم، وخاصة أقسام سورة الليل، والنازعات، والعاديات، والعصر، والتي تجلو معاني من الهدى والحق، أو الضلال والباطل بماديات من النور والظلمة[1].

6 - معاني الوايات المتتالية في أقسام القرآن الكريم:

المقصود بالواوات المتتالية في أقسام القرآن الكريم ما هو في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[3].

وقد دار نقاش بين علماء العربية منذ سيبويه والخليل حول معاني الواوات في تلك الآيات، أهو القسم أم العطف؟ ونحتكم إلى القرآن الكريم ودلالة الحرف المستفادة من التركيب مع آراء العلماء القريبين من عصور الاحتجاج اللغوي.

---

(1) نفسه 26/1.

(2) سورة الفجر 3 -1.

(3) سورة البروج 1 - 3.

أقسام القرآن وآراء العلماء :

ذكر سيبويه قول الخليل في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[1]. « أن الواوين الأخريين ليستا بمنزلة الأولى ، ولكنهما الواوان اللتان تضمّان الأسماء إلى الأسماء في قولك : مررت بزيدٍ وعمروٍ ، والأولى بمنزلة الباء والتاء. ألا ترى أنّك تقول : والله لأفعلنّ ووالله لأفعلنّ ، فتدخل واو العطف عليها كما تدخلها على الباء والتاء.

قلت للخليل : فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى؟ فقال : إنّما أقسم بهذه الأشياء على شيء واحد ، ولوكان انقضى قسمه بالأوّل على شيء لجاز أن يستعمل كلاما آخر فيكون ، كقولك : بالله لأفعلنّ ، بالله لأخرجنّ اليوم ، ولا يقوى أن تقول : وحقّك وحقّ زيد لأفعلنّ ، والواو الآخرة واو قسم ، لا يجوز إلا مستكرها[2]، لأنّه لا يجوز هذا في محلوف عليه إلا أن تضمّ الآخر إلى الأول وتحلف بهما على المحلوف عليه »[3].

لقد رأينا أن الواوات التالية للعطف ، وإن أردت التوكيد في مثل « قولك : وحقك وحق . على التوكيد جاز ، وكانت الواو واو الجر »[4].

وأيد المبرد مذهب سيبويه في أن الواوات التالية للعطف ، ورأى أنه لو كانت الواوات التالية للقسم لانقطع الثاني من الأول[5]، ورأى رضي الدين أن الواوات

---

(1) سورة الليل 1 ـ 3.

(2) ذكر محقق الكتاب تأويلا للسيرافي على جواز ذلك ، وهو يعني بتأويل ضعيف بأن يضمر الأول مقسم عليه محذوف يدل عليه الثاني . هامش الكتاب 501/3.

(3) الكتاب 501/3.

(4) نفسه 503/3.

(5) المقتضب للمبرد 2/ 335، وانظر لسان العرب 20/ 379، ط بولاق.

التالية للعطف وقال في أقسام سورة الليل: كأنه قال: أقسم بهذه الثلاثة[1].

ولكن بعض العلماء رفضوا العطف في الواوات التالية، وعدوها للقسم حتى لا يكون عطفا على عاملين، وخاصة في سورة الليل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾[2]. أي: يكون النهار معطوفا على الليل، وإذا تجلى يكون معطوفا على: ﴿إذا يغشى﴾، والعاطف واحد[3].

فهم لما لم يجوزوا العطف على عاملين بعاطف واحد رفضوا العطف في أقسام سورة الليل، واعترض رضي الدين على فكرة العطف على عاملين في سورة الليل، ورأى أنه لو امتنع ذلك لامتنع: (أُقسم بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى). وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾[4].

فالواو هنا قائمة مقام (أقسم)، فكأنها تجر وتنصب، وهو المحذور[5]. فكان لا بد من التقدير هنا فيكون المعنى: بعظمة الليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى، فيكون الواو قائما مقام العظمة، وهو عامل واحد، ويكون العامل في المنصوب والمجرور شيء واحد[6].

وإذا ما وعينا دلالة حرف الواو على الفعل والباء معا، أو كونها عوضا عن الفعل والباء معا، لم نحتج إلى تقدير العظمة، ولم نخش من مخالفة القواعد التركيبية من العطف على عاملين.

---

(1) شرح الكافية، رضي الدين 337/2.
(2) سورة الليل 1 - 2.
(3) شرح الكافية، رضي الدين 337/2.
(4) سورة التكوير 15 - 17.
(5) شرح الكافية، رضي الدين 337/2.
(6) نفسه 337/2.

فالواو دلت على الفعل والباء معا في قوله تعالى : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾[1]. ودلت على الواو الأولى في أقسام سورة الليل ، وهذه الواو الأولى ـ كما سبق أن قلنا ـ أبدلت من الفعل وباء القسم معا.

معنى الجمع في الواوت المتتالية :

قال ابن القيم في أقسام سورة الليل : « القسم واقع على انصرام الليل ومجيء النهار عقبه ، وكلاهما من آيات ربوبيته ، ثم أقسم بخلق الذكر والأنثى ، وذلك يتضمن الإقسام بالحيوان كله على اختلاف أصنافه ؛ ذكره وأنثاه ، وقابل بين الذكر والأنثى ، كما قابل بين الليل والنهار ، وكل ذلك من آيات ربوبيته ، فإن إخراج الليل والنهار بواسطة الأجرام العلوية كإخراج الذكر والأنثى بواسطة الأجرام السفلية ، فأخرج من الأرض ذكور الحيوان وإناثه على اختلاف أنواعها ، كما أخرج من السماء الليل والنهار بواسطة الشمس فيها ، وأقسم سبحانه بزمان السعي ، وهو الليل والنهار وبالساعي وهو الذكر والأنثى على اختلاف السعي ، كما اختلف الليل والنهار ، والذكر والأنثى ، وسعيه وزمانه مختلف ، وذلك دليل على اختلاف جزائه وثوابه »[2].

فالواو التي بين الليل والنهار جمعتهما معا ليقسم بهما قسما واحدا ، وكذلك الواو التي بين الذكر والأنثى ، أما الواو التي في : ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[3]. فهي للمشاركة ، كما سيأتي.

---

(1) سورة التكوير 15 ـ 17.

(2) التبيان لابن القيم 56.

(3) سورة الليل 3.

وقد ارتبط الضوء بالظلام، أو بمعنى آخر (الليل والنهار) في القرآن الكريم لا سيما في الإقسام بهما معا.

فلو نظرنا إلى مادة (نهر) في القرآن الكريم في دلالتها على (النهار) نجدها وردت في القرآن الكريم سبعا وخمسين مرة ارتبطت فيها كلمة النهار بالليل في أربع وخمسين مرة، وجاءت كلمة النهار بدون كلمة الليل ثلاث مرات[1].

وكذلك مادة (ليل) في دلالتها على الليل في القرآن الكريم وردت اثنتين وتسعين مرة جاءت مقترنة بالنهار في ستة وستين موضعا، وجاءت وحدها في ستة وعشرين موضعا[2].

مما سبق نلحظ الاستعمال القرآني لهما، الذي يجعلهما معا في كثير من أقسام القرآن الكريم، فالواو بينهما لجمعهما، فيصير القسم بهما معا في وقت واحد، فهما مجموعان بالواو.

ومثل ذلك القسم بالتين والزيتون في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾[3].

ففي الآيات السابقة أربع واوات؛ الواو الأولى للقسم، أما الواو الثانية فيلاحظ فيها دلالتها على الجمع الذي هو نظير التثنية، فهو ـ والله أعلم ـ قسم بالشجرتين معا، والواو الثالثة تكون للعطف، أي: عطف قسم جديد على القسم الأول، وكذلك الرابعة، وهذا يمكن فهمه من قول ابن القيم التالي: «أقسم سبحانه بهذه الأمكنة الثلاثة»[4]. يقصد مكان منبت الشجرتين، ثم طور سنين، ثم البلد الأمين.

---

(1) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، مادة (نهر) 720

(2) نفسه (ليل) 656.

(3) سورة التين 1 ـ 3.

(4) التبيان لابن القيم 43 وما بعدها.

ومثل ذلك الواو الثانية في قوله تعالى : ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [1]. فالواو الثانية للجمع ، وأيضا قوله تعالى : ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [2]. فسره بعضهم بأن « الوتر الخالق والشفع المخلوق ، وعلى هذا القول يكون القسم قد جمع بين الخالق والمخلوق »[3]. ويمكن أن يكون مثله قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ [4]. فهي أيضا إقسام بالخالق والمخلوق.

ومثله أيضا قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [5]. وقوله تعالى : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [6]. فالقسم بالقلم والكتابة معا.

معنى المشاركة في الواوات المتتالية :

وهو أمر يرتبط بالواوات المتتالية في القسم ، فعندما بين ابن القيم أقسام سورة البروج في قوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [7]. قال : « أقسم بالسماء ذات البروج ، ثم أقسم باليوم الموعود »[8].

فإذا تأملنا هذه الواوات نلحظ أن الواو في : ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ . تؤدي معنى المشاركة.

ومثلها الواو الثالثة التي في قوله تعالى : ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا

(1) سورة البلد 3.
(2) سورة الفجر 3.
(3) التبيان لابن القيم 19.
(4) سورة الشمس 5 ـ 8.
(5) سورة الذاريات 23.
(6) القلم 1، 2.
(7) سورة البروج 1 ـ 3.
(8) التبيان لابن القيم 88.

obeikandi.com

نَلَنَهَا﴾[1]. ولقد جعل ابن القيم المعطوف بالفاء على القسم به مقسم به آخر، وذلك في شرحه لأقسام سورة الذاريات، قال: «أقسم سبحانه بالذاريات، ثم بما فوقها»[2]. في قوله تعالى: ﴿وَالذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَالۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾[3].

معنى الاستئناف في الواوات المتتالية:

وهو قريب من معنى الواوات التي للمشاركة، ففي قوله تعالى: ﴿وَالۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ۝١ فَالۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ۝٢ وَالنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ۝٣ فَالۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾[4]. تلاحظ أن: ﴿وَالنَّٰشِرَٰتِ﴾. الواو فيها لقسم جديد، فهي لاستئناف قسم آخر، وما قبلها معطوف على القسم الأول بالفاء، فقد جعل الأقسام في هذه السورة نوعين، وفصل أحدهما عن الآخر، وجعل العاصفات معطوفا على المرسلات بفاء التعقيب، فصار كأنهما نوع واحد، ثم جعل الناشرات كأنه قسم مبتدأ، فأتى به بالواو، ثم عطف عليه الفارقات بالفاء[5].

7 ـ حذف جواب القسم بالواو:

وقد تقوى العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه فيتحدا، وعندئذ يبحث العلماء عن جواب للقسم[6]. أو يؤولونه بأنه محذوف للاختصار[7]، كما فعلوا في قوله تعالى:

---

(1) سورة الشمس 1 ـ 2.
(2) التبيان لابن القيم 278 وما بعدها.
(3) سورة الذاريات 1، 2.
(4) سورة المرسلات 1 ـ 4.
(5) التبيان لابن القيم 44 وما بعدها.
(6) انظر: معاني القرآن للفراء 397/2.
(7) انظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 233.

obeikandl.com

﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [1]. وقوله : ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾[2].

فقد اتحد المقسم به والمقسم عليه ، وهو القرآن ، فأقسم بالقرآن على ثبوت صدقه ، وأنه حق من عنده ، ولذلك حذف الجواب ، ولم يصرح به لما في القسم من الدلالة عليه[3].

ومثل ما سبق أقسام سورة النازعات ، فجواب القسم (فيها) محذوف يدل عليه السياق ، وهو البعث المستلزم لصدق الرسول ، وثبوت القرآن ، أو أنه من القسم الذي أريد به التنبيه على الدلالة والعبرة بالمقسم به دون أن يراد به مقسما عليه بعينه ، وهذا القسم يتضمن الجواب المقسم عليه ، وإن لم يذكر لفظا ، ولعل هذا مراد من قال : إنه محذوف للعلم به.

لكن هذا الوجه ألطف مسلكا ، المقسم به إذا كان دالا على المقسم عليه استُغني عن ذكره بذكره ، وهذا غير كونه محذوفا لدلالة ما بعده عليه . ولعل هذا قول من قال : إنه إنما أقسم برب هذه الأشياء ، وحذف المضاف ، فإن معناه صحيح ، لكن على غير هذا الوجه الذي قدروه ، فإن إقسامه سبحانه وتعالى بهذه الأشياء لظهور دلالتها على ربوبيته ووحدانيته[4].

❊ ❊ ❊

(1) سورة ق 1.

(2) سورة ص 1.

(3) التبيان لابن القيم 425.

(4) نفسه 139.

obeikandi.com

ب ـ واو الندبة

1 ـ واو الندبة في كتب معاني الحروف :

اختلفت آراء العلماء في جعل هذه الواو ضمن الحروف المفردة أو الثنائية ، فهي في **جمل الخليل** تذكر ضمن معاني الواو المفردة قال : « وأما واو الندبة : قولهم : يا زيد . وا زيد . ها زيد »[1]. فاسمها حرف نداء[2]، وحرف تنبيه أيضا[3].

وذكرها الزجاجي ضمن معاني الواو المفردة وزاد عليها ألفا فقال : « وتكون للندبة مع زيادة ألف[4]، وهي في حروف النضر بن شميل : واو الندبة »[5].

وفي حديث السيوطي عن الندبة قال : « مسألة الندبة إعلان المتفجع لاسم مَن فقده لموت أو غيبة ، ولها واو وياء مع الأمن »[6]. وعدها كثير من العلماء حرفا ثنائيا (وا) وذكرها في كتب معاني الحروف ضمن المعاني الثنائية[7]. وجعلها الرماني من الحروف الهوامل[8]. وأظن أن (وا) هنا هي الواو المفردة ،

---

(1) الجمل في النحو للخليل 278.

(2) الأنموذج للزمخشري 112.

(3) نشأة دراسة حروف المعاني وتطورها . د . هادي عطية مطر ، ص 44، ط 1، المكتبة الوطنية ، بغداد 1985م.

(4) حروف المعاني للزجاجي 38.

(5) المصنفات في جروف المعاني د . محمد عامر32.

(6) همع الهوامع 179/1.

(7) انظر : شرح المفصل 2/ 13، شرح الكافية ، رضي الدين 1/ 131، مغني اللبيب 2/ 261، قطر الندى وبل الصدى لابن هشام 59 وما بعدها ، ط الشعب ، القاهرة (د . ت).

(8) معاني الحروف للرماني 91.

وأن الألف التي في آخرها هي إشباع لحركة الفتح ، وذلك للمد والإطالة ، فهي شبيهة بالألف التي تلحق بالمندوب في آخره للترنم والتطريب[1].

2 ـ دلالة الفعل في واو الندبة :

رأينا في واو القسم دلالة الواو على الفعل (أحلف) وحرف (الباء) الذي يعدّى هذا الفعل إلى المحلوف به.

وهنا نرى أن واو الندبة تدل على الفعل (أدعو).

قال رضي الدين : « وكذا المندوب المتوجع عليه ، نحو : وا ويلاه ، ووا ثبوراه ، ووا حزناه ، أي : احضر حتى يتعجب من فظاعتك . والدليل على أنه مدعو ، قوله تعالى : ﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ [2]. أمرهم بقول : وا ثبوراه . وكذا المستغاث منادى دخله معنى الاستغاثة » .[3]فواو الندبة يندب بها ويستغاث أيضا ، وما بعد هذه الواو كالمنادى الحقيق بحرف النداء ، إلا أنه متفجع عليه ، وهذا هو الفرق بين أن تدعو شيئا بالياء ، فأنت تناديه ، أما بالواو فللنداء مع الندبة والاستغاثة.

ومن هنا أطلق الخليل على هذه الواو : واو الندبة [4]، وقال الزجاجي أيضا : « واعلم أن المندوب منادى ، فإن شئت جعلته بلفظ المنادى ، فقلت وا زيد ، وا عمرو ، وإن شئت زدت في آخره ألفا »[5].

وقد جوز الرماني أن يجري المندوب مجرى المنادى فيقال : وا زيد ، وا

(1) شرح المفصل 13/2.
(2) سورة الفرقان 14.
(3) شرح الكافية ، رضي الدين 131/1.
(4) الجمل في النحو للخليل 287.
(5) الجمل في النحو للزجاجي 176.

obeikandl.com

عمر[1]. وكذلك رأى ابن يعيش أنك مخبر في الألف التي بعد المندوب، فتقول: وا زيداه، أو وا زيد. وعدها ألفا زائدة للترنم والتطريب[2]. كما جعلوا للمندوب حكم النداء[3]، بل إن بعض العلماء أجاز استخدام (وا) في النداء الحقيقي[4].

مما سبق نرى أن المنادى والمندوب يتقاربان في الدلالة، فكل منهما منادى سبقته (وا) أو (يا) بمعنى (أدعو) أو (أنادي). فكأنه اكتفى بالواو من (أعو) والياء من (أنادي)، ولكن الياء تستعمل في النداء الحقيقي، وقد تستعمل في الندبة من الأمن[5]. أما الواو فتستعمل أصلا في الندبة، وقد تستعمل في النداء الحقيقي.

وقد رأينا في التمهيد لهذا البحث كيف أن العلاقة بين الياء والواو والتي هي مسائل صرفية من شأنها تقديم قيم ومعان نحوية.

كما أن طبيعة الواو الشفوية ودلالتها على المعنى الأقوى[6] جعلها خاصة بالندبة بدلا من الياء.

والمنادى بالياء غير المندوب بالواو، فالواو لما كانت أصلا للندبة، فلا يندب بها مضمر او إشارة، أو موصول ـ إلا بصلة ـ لأن المندوب يجب أن يندب بأشهر الأسماء حتى يعرفها السامعون، فتكون حجة وعذرا لهم[7].

وذكر ابن هشام أن (وا) قد تكون اسما لأعجب كقول الشاعر:

---

(1) معاني الحروف للرماني 91.

(2) شرح المفصل 13/2.

(3) همع الهوامع 179/1.

(4) مغني اللبيب 369/2.

(5) همع الهوامع 179/1.

(6) انظر التمهيد من هذا البحث ص 22.

(7) شرح المفصل 13/2.

وا ، بأبي أنتِ وفوكِ الأشنبُ كأنما ذُرَّ عليهِ الزَّرنبُ[1]

وقد يقال : واها ، كقول الشاعر :

واهًا لسلمى ثُمّ واهًا وَاها هِي المُنَى لَوْ أَنَنا نِلْنَاهَا[2]

ووى ، كقوله :

ويْ ، كأنْ مَن يكنْ لهُ نشب يُحْ بَبْ ، ومَن يفتقرْ يعشْ عيشَ ضُرّ[3]

3 ـ عمل واو الندبة :

تحدث النحاة ـ كما رأينا ـ عن واو الندبة من ناحية الفرق بين المندوب والمنادى ، ولم يذكروا شيئا عن عملها ؛ لأنهم رأو أنها كياء النداء ، فهي تعمل بجملها ، وعدها الرماني ضمن الحروف الهوامل ، وجعلها تختص بالمندوب[4].

وفي **جمل الخليل** نجد ما بعد هذه الواو مرفوعا إذا كان علما في قوله : يا زيد ، وا زيد.

4 ـ واو الندبة في القرآن الكريم :

لم تأت واو الندبة في القرآن الكريم ، وإنما أتت (يا) مع احتمالها لإفادة الندبة في آيات قرآنية نذكر منها قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾[5]. رأى العلماء أن النداء مضاف إلى ياء المتكلم التي قلبت ألفا ، وقيل : هو على الندبة ،

---

(1) لم أعثر عليه في معجم شواهد العربية ، والبيت في مغني اللبيب 2/ 369، ولسان العرب 432/1 (زرب).

(2) غير موجود في معجم شواهد العربية ، وهو في مغني اللبيب 369/2.

(3) ينسب لزيد بن عمرو بن نفيل : معجم شواهد العربية 1/ 255، والبيت في شرح المفصل 4/ 76، مغني اللبيب 2/ 369، همع الهوامع 2/ 106، ولسان العرب 300/2.

(4) معاني الحروف للرماني 91، وخزانة الأدب 404/6.

(5) سورة يوسف 84.

وحذفت هاء السكت[1].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[2].

قرأ ابن كثير: (يا حسرتاه) في الوقف بهاء السكت[3].

وقوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾[4].

«قرأ الحسن (يا ويلتي) بالياء على الأصل، وقيل: الألف ألف الندبة»[5].

أما (وي) فقد وردت مرتان في القرآن الكريم[6] في قوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[8]. وهي في هذا السياق تعطي دلالة اسم التعجب، كما سبق أن قال ابن هشام.

❊ ❊ ❊

(1) تفسير الكشاف 2/ 331، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم 632/3.

(2) سورة الزمر 57.

(3) تفسير البحر المحيط 7/ 435، وانظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم 632/3.

(4) سورة هود 72.

(5) تفسير البحر 244/5.

(6) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي 768.

(7) سورة القصص 81.

(8) سورة القصص 82.

obeikandl.com

ثانيا : دلالة الاسم

ونقصد بها معنى الضمير في واو ضمير جمع الذكور.

أ ـ واو الضمير في كتب معاني الحروف :

تتحقق دلالة الاسم في واو الضمير التي تلحق بالفعل الماضي أو المضارع أو الأمر، حينئذ تسند إليها هذه الأفعال بغرض دلالتها على جمع الذكور في مثل قولنا : قاموا ، يقومون ، وهي حينئذ تقوم بدور الفاعل في الجملة.

وقد عدها بعض المصنفين في حروف المعاني ضمن معاني الواو، وبعضهم لم يذكرها في تقسيماته لمعاني الواو.

ففي حديث الخليل عن معاني الواو في كتابه **الجمل** قال : « ومنها واو الضمير في قولهم تخرجون ، ويقومون : الواو إضمار جمع المذكر، فما كان في الأسماء، فهذه واو الإعراب ، وما كان في الأفعال هو واو الضمير »[1].

أما الزجاجي فلم يذكر هذه الواو في كتابه **معاني الحروف** ، وإنما ذكر : واو الإعراب قال : وتكون الواو علامة للرفع[2]، ويقصد بها التي في جمع المذكر السالم، وصنع هذا الصنيع الثعالبي في كتابه **فقه اللغة**[3].

ولم يذكر الرماني في **معاني الحروف** شيئا عن معنى هذه الواو[4]، ومن الغريب أن المرادي ذكر ضمن معاني الواو : الواو التي هي علامة للجمع في

(1) الجمل في النحو للخليل 284.
(2) معاني الحروف للزجاجي 37.
(3) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي 352.
(4) معاني الحروف للرماني 61.

لغة : أكلوني البراغيث . وقال عن اللغة التي جاءت فيها : هي لغة ثابتة خلافا لمن أنكرها . وبعد سرده لكل أقسام الواو قال : « فهذه جملة أقسام الواو ، وهي أربعة عشر قسما ، وبقيت للواو أقسام أخرى ، ذكرها النحويون ، ليست من حروف المعاني . منها الواو التي هي ضمير الجمع ، نحو : الزيدون قاموا . فهذه الواو اسم ، خلافا للمازني . فإنه قال : هي حرف ، والفاعل مستكن في الفعل »[1].

فكأن هذه الواو عنده غير الواو التي ذكر معانيها ، وربما كان ما جعل كثيرا من العلماء لا يذكرون دلالة الواو على الاسم في هذا الوضع هو أنهم يتحدثون عن الحروف ومعاني الحروف ، فإذا عدوا الواو اسما تخوفوا من الحديث عما هو ليس بحرف.

وأرى أن معنى الاسم في هذه الواو دلالة يخرج إليها الحرف ليؤديها كما يؤدي دلالة الفعل في واو القسم والندبة ، أو أية دلالات أخرى صرفية ونحوية وبلاغية.

أما ابن هشام فقد بحث في أقسام الواو غير متقيد بالاسم فيها أو الحرف ، فذكر : « واو ضمير الذكور ، نحو : الرِّجال قاموا . وهي اسم ، وقال الأخفش والمازني : حرف ، والفاعل مستتر ، وقد تستعمل لغير العقلاء إذا نُزِّلوا منزلتهم ، نحو قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[2]. وذلك لتوجيه الخطاب إليهم »[3].

وقد استقر تعريفها على أنها : « واو الجماعة (التي هي) ضمير متصل بموضع

(1) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي 28.

(2) النمل 18.

(3) مغني اللبيب 365/2.

الرفع ، أو يختص بالأفعال الثلاثة : الماضي والمضارع والأمر »[1].

ب ـ واو الضمير بين دلالة الاسم ودلالة الحرف :

ذكر بعض العلماء أن الواو في قولهم : أكلوني البراغيث . هي واو الضمير ، وما بعدها بدل منها ، وعلى هذا التوجيه فسروا قوله تعالى : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [2]. وقوله تعالى : ﴿عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ [3]. على أن (الذين) و(كثير) بدل من الواو في الفعل قبلها ولكن ـ كما رأينا في التمهيد ـ هذه الواو ليست باسم ، وإنما هي مما سمي الركام اللغوي[4]. وهي علامة للجمع ، فلم تخرج عن حرفيتها ، كما أنها لغة قوم بأعيانهم ، أي : أنها لهجة ، فلا داعي للتأويل . وهذا ما جعل بعض العلماء يضعف هذه اللغة ، ويرفض قياس تراكيب قرآنية عليها[5].

وهذه الواو تشترك مع واو ضمير جمع الذكور في أداء معنى صرفي ، وهو الدلالة على الجمع « فالواو تزاد علامة للجمع في الضمير ، نحو : الرجال يقومون ويقعدون ، وتزاد علامة للجمع مجردة من الضمير في نحو قول العرب : أكلوني البراغيث »[6].

جـ ـ أدلة على اسمية واو الضمير :

ولهذه الواو سمات تختص بها جعلتها تختلف عن الواو الأصلية في بنية

(1) في علم النحو د . أمين علي السيد ، ص 88، دار المعارف 1977م.
(2) سورة الأنبياء 3.
(3) سورة المائدة 71.
(4) انظر التمهيد لهذا البحث ، ص 30.
(5) انظر : الجنى الداني 171.
(6) سر صناعة الإعراب 231/2 (و) مخطوط.

الكلمة، أو الواو التي هي إشباع للحركة، من ذلك:

1 ـ قبولها للحركات فوقها:

« فهي تضم إذا كان ما قبلها مفتوحا، وذلك في مثل قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[1]. وزعم الخليل أنهم جعلوا حركة الواو فيها ليفصل بينها وبين الواو التي من نفس الحرف، نحو واو (لو) و (أو) »[2].

وذلك لأنها كلمة مستقلة، أو كالكلمة المستقلة مما جعلها تقبل الحركة فوقها.

2 ـ كراهتهم لحذفها:

فهم لم يجوزوا حذف هذه الواو إلا لضرورات تتعلق بالنطق، أو ضرورات خاصة بالشعر « فإذا اجتمع واوان والضم تحذف الواو التي ليست عمدة وتبقى العمدة »[3].

« فإذا قلت: الرجال يعفون، فالواو واو الجماعة، والنون علامة الرفع، والأصل يعفوون بواوين، أولاهما لام الكلمة والثانية واو الجماعة، فاستثقلت الضمة على واو قبلها ضمة وبعدها واو ساكنة ـ وهي الواو الأولى ـ فحذفت الضمة فالتقى ساكنان، وهما الواوان، فحذفت الأولى، وإنما خصت بالحذف دون الثانية لثلاثة أمور:

أحدها: أن الأولى جزء كلمة والثانية كلمة، وحذف جزء أسهل من حذف كل.

---

(1) سورة البقرة 237.

(2) الكتاب 4/ 155، وانظر همع الهوامع 200/2.

(3) البرهان 397/1.

obeikandl.com

والثاني : أن الأولى آخر الفعل ، والحذف بالآواخر أولى.

والثالث : أن الأولى لا تدل على معنى ، والثانية دالة على معنى ، وحذف ما لا يدل أولى من حذف ما يدل »[1].

فالواو وإن دلت على الاسم لا تزال تحمل خصائص لا تنفك عنها ، وأول هذه الخصائص علاقتها بالضمة ، مما جعل الضمة تنوب عنها في حالات حذفها ، وهذه النيابة إنما جاءت لضرورة التعويض ؛ لأنها ـ كما قلنا ـ واو اسم ، وحذفها بدون تعويض يفسد المعنى.

ونلاحظ أن النطق قد يتحول من الواو إلى الضمة في مثل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [2]. فالواو في ﴿لَقُوا۟﴾ لم تنطق ، وهي مرسومة في المصحف ، وذلك لأن الواو حرف ساكن لقي اللام وهي ساكنة ، فذهبت الواو لسكون اللام[3].

ومنه أيضا حذف الواو عند التقاء الساكنين في حالة الأفعال الخمسة إذا اتصل بها نون التوكيد ، وتبقى الضمة دالة على الواو [4].

أما الذي تعين حذفه لضرورة الشعر قول الشاعر :

لو ساوفتنا بسوفٍ من تحيتها سوف العيوف لراح الركب قد قنع[5]

---

(1) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام ، ص 62، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 1، المكتبة التجارية ، القاهرة د.ت.

(2) سورة البقرة 14.

(3) انظر التمهيد لهذه الدراسة علاقة الواو بالضمة ، ص 42 وما بعدها.

(4) انظر : شرح ابن عقيل 27 وما بعدها ، بحوث ومقالات في اللغة د . رمضان عبد التواب ص 38، مفهوم علم الصرف د . كمال بشر ، ص 123.

(5) ينسب لابن مقبل : معجم شواهد العربية 1/ 225، البيت من شواهد شرح المفصل 9/ 78، وما يجوز للشاعر في الضرورة 297، لسان العرب (سوف) ،

قال السيرافي: يريد قنعوا، فحذف الواو، وهي ضمير الفاعلين في هذه الأبيات؛ لأنه شبهها بواو يغزو في الحسن؛ لأن الواو هاهنا اسم وواو يغزو حرف[1].

3 ـ كتابة ألف بعدها:

وذلك في حالة الفعل الماضي (قاموا).

وهذه الألف ليست من بنية الكلمة، ولا تنطق، وربما دلت على أن الواو التي خلفها واو الجماعة، وليست واو الجمع التي حذفت النون بعدها للإضافة، ويظهر ذلك في موازنة: ضربوا زيدا، وضاربو زيد.

ورأى الزركشي أن هذه الألف قد تزاد بعد الواوات الأصلية في مثل يرجو ويدعو، وقال[2]: إذا كانت قد تزاد مع ما سبق من أفعال، فهي مع الواو التي هي ضمير الفاعلين أولى؛ لأن الكلمة جملة، مثل: قالوا، وعصوا، وقد تسقط في مواضع للتنبيه على اضمحلال الفعل، نحو: ﴿سَعَوْا فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾[3]. و﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[4]. و﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ﴾[5].

❊ ❊ ❊

(1) شرح السيرافي 179/5.

(2) البرهان 382/1.

(3) سورة الحج 51.

(4) سورة الأعراف 116.

(5) سورة يوسف 15.